دور شيخ الزاوية في تنظيم الأسرة الجزائرية

أ/ نصيرة بن علي ـ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة معسكر

تاريخ الاستقبال: 2018/06/01
تاريخ القبـــول: 2018/06/27

" يجب على المغرب أن يجد حلولا مناسبة إنطلاقا من خاصيته، وخاصة من عادته الدينية التي تأخذ من جديد، من الأصل، وتتغير تغيرا جذريا".(Pascon. P : 1981, P. 402)

Résumé :

L'importance de ce sujet réside dans le fait de dégager le rôle et la place qu'occupe le cheikh de la zaouïa (confrérie) dans le pays Rachidien qui couvre l'ensemble de la plaine de Ghriss. Car il constitue toujours l'un des acteurs principaux dans la société. Le cheikh joue un rôle dans la qualification de la dynamique et dans le changement de la société. Il occupe plusieurs fonctions et assume de nombreuses responsabilités.

On va essayer dans cette étude anthropologique d'analyser la famille rurale aux fins de savoir sa structure, son évolution et son éventuel changement.

Ce qui est remarquable c'est la persistance du pouvoir patriarcal (pouvoir de cheikh de la zaouïa), qui joue un rôle principal dans la résolution des conflits familiaux.

Nous sommes amenés à nous poser les questions suivantes : quelles sont les causes de la persistance du pouvoir de la famille tribale, malgré le changement de sa forme ?

et partant quelle est la nature des relations familiales qui subsistent aujourd'hui dans la région de Draouiche ?

أولا– مقدمة منهجية

إن الهدف المركزي من وراء هذه الدراسة الراهنة، تهدف أولا وقبل كل شيء إلى العمل الإيجابي والمتمثل في البحث عن تغير بناء السلطة داخل الأسرة العشيرية بالوطن الراشيدي أي تحليل الأسرة الريفية بغية معرفة كيف بنيت وتكونت وتحولت وتطورت . فما هو ملاحظ على الأرضية الايكولوجية، هو استمرارية للسلطة الأبوية وكذا سلطة المؤسسات التقليدية وعلى رأسهم رؤساء الزوايا، الذين يلعبون أدوار هامة ومتعددة لحل كافة المشاكل العالقة بين أفراد المجتمع، خصوصا المشاكل العائلية والخلافات الزوجية،كلها من اختصاص رئيس الزاوية الذي يدخل كوسيط مقدس لحل كافة الصراعات الاجتماعية، ويكفي لتأييد وجهة نظرنا وجود ظاهرة حمل رسالة شيخ الزاوية "ألبرية" لحل المشاكل العائلية، التي تحولت كطُقس مقدس مرتبط بجملة من المعتقدات والتصورات . فالهدف من هذه الدراسة، هي محاولة لإبراز سماتها وفهم عوامل تمثل الكثير من أفراد المجتمع لها، وميلهم إلى الإستمساك بها بالرغم من وجود مؤسسات الدولة الحديثة، ولكن مازال الناس يتوارثونها جيـــلا بعد جيـــل، فالعقلية لم تتغير ولكن الشيء الجديد هو تفشي ظاهرة الخلافات الزوجية وشكاوي حول تدخل ما بين الزوجين، وطلبات الطلاق. وحاولنا قدر المستطاع أن نلتزم بالموضوعية، حيث أن مشكل الموضوعية في المعرفة رغم أنه يحي مناقشات وإختلافات قديمة جدا، لكنه

ما زال المشكل الأول المطروح حتى الآن." (Hirschhorm.M : 1988, P.116). وانطلاقا من هذه المعطيات، نحاول إبراز السؤال الرئيسي للبحث "***ماهي أسباب استمرارية وديمومة سلطة الأسرة العشيرية، بالرغم من تغير شكلها ؟***" .

فما زال إلى غاية يومنا الحاضر، هناك خضوع مزدوج، شكلي للدولة وحقيقي لرؤساء الزوايا، وهذا ما يجعل من سلطة رئيس الزاوية في الفكر العشائري كإرث تاريخي يشمل جملة تصورات منحدرة من الماضي والتي لا تزال فاعلة في تشكيل الرؤى وسلوكيات الاجتماعية في زمن الحاضر. فرغم من انتقال إلى التشكل الاجتماعي للأبوية المستحدثة، فلا يجب إهمالنا لعلاقة العائلة بالقبيلة فيها وبسلطتها. ولتبسيط إشكالية البحث انطلقنا من الميدان المدروس "زاوية الدراويش" وكان سؤال فرعي كالتالي :"***ماهي طبيعة العلاقات الأسرية القائمة حاليا بمنطقة الدراويش؟***"

وكانت فرضية البحث كالتالي :

طرأت على الأسرة العشيرية بمنطقة الدراويش تغيرات في الحجم والعلاقات والأدوار بفعل التغيرات المختلفة التي طرأت على المجتمع المحلي، مما أنتج تغير في الأدوار بين الرجال والنساء كل هذا أدى إلى ظهور مشاكل عائلية كالخلافات الزوجية وطلبات الطلاق بوساطة شيخ الزاوية من خلال رسالة الشيخ.

1– الإطار الجغرافي والعينة :

تم اختيارنا على زوار زاوية الدراويش، وتعتبر هذه المنطقة إحدى القرى الصغيرة الواقعة في الإقليم الشمالي الغربي للجزائر، على أحد سفوح الجنوبية المطلة على سهل غريس بالقسم الغربي لجبال بني شقران .

وتتكون عينة البحث من 17 مبحوث، أربعة رجال وثلاثة عشر امرأة، قاطنون بقرية الدراويش، وينحدرون من نفس العشيرة، أما الإطار الزمني للدراسة كانت في فترة ديسمبر 2009 حتى مارس 2010 .

2– أدوات جمع البيانات :

استخدمنا عدة أدوات لجمع البيانات هي:

أ– الملاحظة المباشرة للسلوك الاجتماعي في الزاوية.

ب- تحليل مضمون لرسائل شيخ الزاوية، والمتمثلة في 11 مخطوطة التي تعتبر كأكبر مرجع تاريخي لمعرفة نوعية المشاكل الاجتماعية التي ما زال المجتمع المحلي يتخبط فيها، بعد جمع 50 الرسائل في مختلف المشاكل الاجتماعية كمشاكل العمل، مع الجيران، شركاء في العمل، ديون، والمشاكل العائلية التي بلغت 30 رسالة من مجموع 50 (10 رسائل طلبات و20 رسالة استدعاء) ، قمنا بترقيمها بأرقام متسلسلة، ثم قرأنا كل على حدة، بقصد تحديد فئات التحليل، وهذا ما يسمى بالطريقة البعدية في وضع الفئات .

جـــ- مقابلة نصف موجهة مع أفراد العينة.

د- مقابلة دراسة حالة مع نائب الشيخ، زوجة الشيخ السابق وزوجة الشيخ الحالي.

ثانيا- المفاهيم والقضايا النظرية الأساسية

لكي نستطيع قراءة التحديدات والعلاقات القائمة، يجب الإشارة إلى بعض المفاهيم والقضايا التي تحدد المكان الاجتماعي للملاحظات والوصف، والتحليل ..الخ،ركزنا على الأساسي، أما المفاهيم الثانوية سترد في ثنايا التحليلات التالية .

1- تحديد للمفاهيم

أ- **الرئاسة** : واجب يلقى على الفرد الذي يمارس السلطة السياسية بصفة دائمة على جماعة محددة . فما يقابل الرئيس بأفريقيا يعرف ب "chef"، أما في أمريكا اللاتينية فيعرف ب"cacique"، ويعرف في أمريكا الشمالية ب

sachem، بينما يعرف الرئيس في أفريقيا الشمالية بالشيخ (Panoff.M, Perrin.M: 1973 , P.58)

ب-تعريف الشيخ : يعتبر الشيخ أساس التربية الصوفية، فلا طريق بدون شيخ فهو المرشد الروحي الذي يتولى تربية المريدين، والإشارة إليهم بمستلزمات السلوك ومقتضيات الوصول إلى قرب الخالق عز وجل (زيدان .ي: 2000، ص 44).

جـــ- الأسرة : تستعمل كلمة أسرة للدلالة على أصغر تشكيلة أو جماعة قبلية وأدناها في سلم حساب النسب (زهير.حـــ: 1976، 43)، نجد في بعض الدراسات كلمة أسرة لا ترادف كلمة عائلة، مثلا زهير حطب في دراسته تطور بنى الأسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة "كلمة أسرة تحمل في معناها صورة مصغرة للحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي، حينما كان الناس مرتبطين بالقبائل والعشائر والبطون ..ومن هنا يبدو أن كلمة أسرة هي في نطاق معنى الفعل أسر، ولعلها صيغة أخرى للفعل أزر بمعنى ناصر وقوى وشدد بتبديل السين بالزاي، وهذا أمر معروف وكثير الحدوث في اللغة العربية..، أما كلمة عائلة فمستحدثة مشتقة من فعل عال وتكشف لنا عن المعنى المراد بها، وهو كونها مجموعة الأفراد الذين يعيلهم معيل أو كاسب (الطاهر . ل : 2007، 167) .

د- الأسرة العشيرية : وهي التي نجد أسلوب حياتها، واهتماماتها ونظراتها، واعتقاداتها والحلول التي تلتجئ إليها، تجعلنا ننسبها إلى عشيرة (الطاهر لبيب : 2007، 177)

هـــ- غريس : هو من السهول الوطن الراشدي، وسمي غريسا لأنه كان مغروسا بأنواع الشجر ذوات الأثمار (بن بكار. هـــ:1961،ص.34) .

2- دراسات حول الأسرة العربية

تتميز دراسات العربية المهتمة بمسألة الأسرة بتوصيفية أكثر منها بنائية باستثناء بعض الدراسات التي تميل إلى نمذجة الظاهرة الأسرية على أسس افتراضية دون العودة إلى الواقع الاجتماعي الميداني الحي، فكانت تأملية في الغالب أكثر منها تحليلية تفسيرية (بوعزيزي . م :2007، 37)، ومن الأطروحات التي تؤصل لجهد البنائي كأطروحة هشام شرابي[1] التي تعتبر كبنية ممتزجة تتشكل من ترابط

[1]تناول هشام شرابي البنية البطركية، وذلك تحت رؤية بنيوية التي تجتهد في بناء نموذج نظري تحليلي . -

نظامين، نظام أبوي قديم ونظام أبوي مستحدث، ليس الحداثي فيه سوى تحديث للقديم دون تغييره، فلا هو حداثي فعلا أو تراثي أصلا بل، هو معلق بين هذا وذاك (هشام . ش :21،1993). ويقوم هذا المجتمع على هيمنة الأب البطرك، بما هو الحلقة الأساسية التي تنتظم على العائلة وتشكل من خلال الحياة الاجتماعية والنفسية لأفرادها بإرادته المطلقة وسلطته الإكراهية (هشام . ش: 20،1993)

وهكذا تتضح لنا الأبوية كمقولة اقتصادية اجتماعية، تشير إلى مجتمع تقليدي وسابق على الحداثة، قد اختزلت لنا علاقات حياتية بين الرجل والمرأة، أو بين الأب وأبنائه أي كل تجليات الحياة الأسرية اليومية . ولا يمكننا فهم طبيعة الأبوية بمعزل عن القبيلة (هشام . ش:49،1993)، كما أن بنية الأسرة لا تفهم بدون بنية القبلية .

فأغلب الدراسات تعتبر البطركية أهم ظاهرة تعيد إنتاجها الأسرة العربية عبر مراحل تطورها، من أهمها كتابات نوال السعداوي، فاطمة المرنيسي، ودراسات خلدون النقيب في "البدء كان الصراع، جدل الدين والآثنية، الأمة والطبقة عند العرب" الذي اقترح نموذج نظري متجاوزا النموذجين، الذي يصور لنا أولا المجتمع العربي على أنه تجسيد للجمود الأسيوي، أما الثاني فيرى أن المجتمع العربي موزعا بحسب التنظيم المفصلي للسلطة (الطاهر لبيب : 2007، 173) . فالمقاربة البطركية التي تجد لها روافد في مفهوم الاستبداد الشرقي وفي عصبية ابن خلدون، وجدت أيضا وبوجه خاص رافدا أساسيا في نموذج التنظيم المفصلي (الانقسامي)، الذي يعود إلى إميل دوركايم في أطروحته تقسيم العمل الاجتماعي، والذي اعتمده علماء الاجتماع والأنتروبولوجيا العرب، خصوصا في المغرب العربي حيث يتضح التأثر بالتحليل الانقسامي كما يراه أرنست قلنر . بينما يتفق حليم بركات مع هشام شرابي، فيعتبر العائلة كوحدة اجتماعية إنتاجية ونواة التنظيم الاجتماعي والاقتصادي قائمة على التعاون بين أعضائها مما يدفع باتجاه تقليص الفردي وتكثيف الجماعي في اتخاذ القرارات (بركات .م : 364،2000)، فالعائلة حسب حليم بركات تحقر فيها المرأة والصغار، ويستبد فيه الرجال الكبار، فبنيتها تراتبية تقتضي طاعة الصغير للكبير، طاعة شبه مطلقة ضمن شبكة من علاقات القوة السلطوية والعمودية بين أفراد غير متساوين.بما يستتبع ذلك من تواصل عمودي يتخذ طابع القصر والكبت (بوعزيزي . م :2007، 37) .

والشيء الملاحظ هو استمرارية وديمومة سلطة العشيرة على البنى الأسرية، فما زالت الأسرة الممتدة تحكمها الروابط العشائرية في تنظيماتها وعلاقاتها، لذلك نجد أن المجتمع الأبوي " كمجتمع البحث " يمنح للرجل كل السلطات في المقابل نجد تهميش للمرأة باعتبارها كمخلوق ضعيف .

3- سلطة رؤساء الزوايا

لعبت الزوايا دورا كبيرا في المحافظة على الدين الإسلامي من خلال الطرق الصوفية، فالزاوية كمنظومة دينية هي ظاهرة منتشرة بكثرة في المغرب العربي بصفة عامة، والجزائر بصفة خاصة، حيث قدم لنا بوسكيه في كتابه "الإسلام المغربي:مقدمة لدراسة شاملة في الإسلام"، إحصائيات حول عدد الزوايا بالمغرب العربي 1930، فكانت على نحو التالي 250.000 في الجزائر، 60.000 في تونس و200.000 في المغرب. (الهويدي.ي : 364،1965) .

وعلى حد قول"بول باسكون"[2]، "المغرب بلد مئة ألف والي .

كما ارتبطت بالزاوية مفاهيم بيت الله، دار الأولياء والخيمة الكبيرة" فهي منظومة دينية لها أصول بالبيت النبوي (أهل البيت)، إن هذه التسميات لها أصول مرتبطة بالسلطة التقليدية العشائرية حسب ما أشار لنا "بونت،كونت ودراش" في أمراء ورؤساء (Bonte.E, conte. , Drech .F :2001 ,p.32) .

ولقد انتشرت الطرق الصوفية وكثرت الزوايا بالجزائر في العهد العثماني، وعاش معظم المتصوفة يبثون عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد مبتعدين عن الحياة الدنيا مؤثرين العزلة والعبادة، وإذا اشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزا يستقبل فيه الزوار،

[2] Pascon. P : 1981, P.72.

ويصبح المتصوف يعرف باسم المرابط، أما المكان فيدعى بين الناس زاوية سيدي فلان وعندما يموت سيدي فلان يدفن في الزاوية أو الرباط ويصبح الضريح علامة على الزاوية، ويرث الأبناء والأحفاد مكانة وعمل سيدي فلان مما يؤدي إلى استمرارية قداسة الزاوية . وهكذا أصبحت كل مدينة كبيرة كانت أو صغيرة محروسة بوالي من الأولياء، فهو الذي يحميها من العين ومن الغارات ومن النكبات الطبيعية ومن طمع الطامعين .(سعد الله . أ : 1998، 262) .

فهم أولياء الله وحراس المدينة في اعتقاد المجتمع المغاربي (Charnay.J .P :1977 , P.204-205) ، أو رجال الله (Pascon .P, 1986) . أما التاريخ الكولونيالي فقد كان شاهد على الدور السياسي، وقد أشارت"فاني كولونا" مدى ارتباط كل المقاومات الشعبية برؤساء الزوايا (Colonna. F : 1987, P.161).

ويشكل رئيس الزاوية إحدى القوى الفاعلة في المجتمع، يقوم بدور في صياغـــة حركتـــه، وتغييره، وقد ارتبطت به عدة مهام ومسؤوليات، فقد كان رجل دين، القائد في الحرب، القاضي والقائم بكل الممارسات الطقسية المرتبطة بالزاوية. ولقد أشار لنا "جاك بارك" سيرة الذاتية لبعض الأولياء، الذين كانوا في الأصل رؤساء زوايا، فقد لاحظ "جاك بارك" بوجود دوما سمات مختلفة ما بين طقوس الدينية والقانونية، وذلك على مستوى الحياة المحلية . (Berque.J : 1955, P.240) ، وفي دراسته "البنيات الاجتماعية بالشمال الأطلسي" أشار أيضا بأن الأكثر وضوحا من الناحية الأفريقية هم الرؤساء، إنهم يسجلون طاقتهم الشخصية على التناحرات والمنازعات الأثنية والتقاسمات المعقدة ما بين الرمز والمسرح والسلطة(Berque .J , p .155) ، فقد أشار إلى مكانة رؤساء الزوايا

وجملة الطقوس المرتبطة بهم، وكيف يتم إتباع أوامرهم (Berque.J :1982, P.126) . والدراسات في هذا الميدان كثيرة ومتنوعة مثل دراسة إميل دارمنجهام في عبادة الأولياء وكيفية الولاء والخضوع له (Dermenghem.E : 1954)، وخديجة نعموني في عبادة بويا عمر (Naamouni .KH : 1993) وبدون إهمال دراسات فاني كولونا" التي ميزت بين دين المختص بالكتاب المقدس le religion scripturaireوهو دين المدن Religion scripturaire = religion des cites أي الدين الإصلاحي، وبين الدين الريفي أو العشائري أو البدويreligion des tribu = religion extatique (Colonna.F : 1987, P. 175). حيث عرفت الأول بأنه دين مثقف، مادي، ليس له سمعة ولا شعبوية، أما الثاني هو جاهل متقشف، عنيف وسيطرته على الشعب كاملة(Colonna.F : 1987, P. 205) .

ثالثا : سلطة الشيخ بمنطقة الدراويش

1- مكانة الشيخ البشير في الوجدان الشعبي

تقع قرية الدراويش بسهل غريس، قرب بلدية ماوسة بمعسكر، وهي مشهورة بزاوية الشيخ البشير، التي تقع في وسطها، وقد أحيطت بسلسلة قروية وهم مجموعة من العشائر اولاد سي نعوم، اولاد سي علا، اولاد سي صادق ونعايمية وبحارة، حيث تربطهم علاقة نسب مع المرابط "سيدي أحمد بن علي"، باستثناء بحارة .
فلكل عشيرة رئيسا يمثلها بقبة، لذلك ارتبطت تسميتهم بأولاد سي، أما القبائل الكبرى فنجد أولاد سيدي،

وذلك حسب مكانة الوالي .كما نجد عشائر مبعثرة موالية للوالي الصالح، ويتضح لنا مما تقدم،أن للزاوية إقليمها الجغرافي المتمركز في نطاق الوالي الصالح "بن علي "جدهم الأكبر. وخارج حدود هذا الفضاء، نجد أن هذه الزاوية تتوسط أهم قبائل غريس والتي كل

واحدة بدورها لها عشائرها وأتباعها ومتوجة بقبة كرمز لجسم سياسي، ومن أهم هذه القبائل اولاد سيدي بن يخلف، اولاد سيدي قادة، اولاد سيدي دحو... الخ . وتبقى زاوية الدراويش المحصلة النهائية، ونقطة التي تتقاطع فيها المحاور الترتيبات العشائرية.

والجدير بالذكر، فقد تم تأسيس هذه الزاوية حوالي عام 1745، من طرف الشيخ علي بن سنوسي، والذي هو مدفون بقربها، ثم ورثه ابنه عبد القادر، وبعد وفاته أعيد تأسيس الزاوية على يد ابنه مصطفى حوالي عام 1845 ثم بعد وفاته ورثه أبن أخيه الشيخ احمد بن العربي، وبعدها انتقلت إلى الشير ابن أحمد، وحاليا ابنه سحنون بن البشير وكان مقرها إبان فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر في حي بابا علي بمعسكر، قرب زاوية بوشنتوف .

فهي إحدى زوايا المشايخ، والطريقة المتبعة لهذه الزاوية هي الطريقة الدرقاوية التي تنسب إلى مؤسسها الشيخ محمد العربي بن احمد الدرقاوي المتوفي سنة 1823 .

ويكمن سبب هذه التسمية، لأنه في عهد هذا الشيخ وفي فترة مشيخته بالتحديد اشتهرت رسائله التي ارتبطت بجملة من التصورات والطقوس، وأصبح لموقعها أثر بالغ في الفصل بين الخصومات . فقد لعب الشيخ دور كبير في حل المشاكل الأسرية، فكثيرا ما كان يتدخل بين طرفان من خلال الجاه، فلم تكن في عهده ظواهر الطلاق، وإذا حدثت فهي نادرة، قد تكون مرة أو مرتين كل ثلاث سنوات .

إن مكانة شيخ البشير في الوجدان الشعبي كبيرة جدا، فلا يستطيع أحد أن يتكلم عنه بسوء باعتباره كطالب علم، ورجل يلتزم الصمت والسرية، ولا يحمل ذكريات أي كان.(Dermenghem.E : 1954, p.203)

لقد اندهشت إلى المبحوثين وهم يصيفون لي الشيخ، فبمجرد ذكر اسمه لهم نرى ردود الفعل كالبكاء والخشوع، يتكلمون عنه باعتباره شخص خارق للعادة، إنه بطل هذه المنطقة باختصار حسب تصوراتهم . ولقد ارتبطت به ميزات حسنة حسب تصورات زوار الزاوية، حتى الأشخاص الذين لايؤمنون بولايته الروحية، إلا أنني وجدتهم يعترفون بأعماله الخيرية كحق الحصانة، إطعام المساكين والفقراء، تعليم المردين، الزهد في الدنيا، وإصلاح ذات البين خصوصا المشاكل الأسرية فهناك من يعتقد في درجة وصوله وقربه من الله.

تقول (فطيمة،ت): *"الشيخ هو من الواصلين، طلبته قريبة، هو يزيد في الخيمة والأولاد"* ، والبعض الأخر ينظر إليه أنه أحد رجال غريس[3] أو أحد السادات وأحيانا مرابط[4]. ويجب الإشارة إلى أهم العوامل المساهمة في تعاظم مكانة الشيخ البشير، والمتمثلة في الكرامات، وقوة كلمته ويشهد أفراد المجتمع على مبادرة الشيخ البشير في تغيير الناس إلى الأفضل وتطبيق طريقة الإبدال تمكن من الارتقاء بأذواق الناس والانتقال بهم من الملاهي إلى المعابد ومن الهراء إلى الدعاء (الجيلالى . م : 2000، 64) .

أما البركة فهو امتياز أخر أضيف له، لسبب اعتقادات الزوار أنه يتميز بها على أساس استنادهم على الأسس التالية وهما التقوى ونسب الشريف . ورغم نبذ الإسلام لمبدأ الاستعلاء العشائري في الإيمان، فانه يقبل الاستثناء عندما يتعلق الأمر بسلالة النبي وبالتالي

[3] **كتب محمد الجوزي عن أولياء غريس في شرحه على العقد النفيس .**

[4] هو من رابط في سبيل الله، والرباط في اصطلاح الفقهاء عبارة عن احتباس النفس والحراسة، الذي يلتزم فيه العبادة. (ابن المرزوق التلمساني : 1981، ص. 412)

فستحظى هذه الأخيرة بالبركة التي سيستمر انتقالها بالتقليد العفوي أو الوراثة حكرا على الشرفاء وحدهم (طوالبي .ن :1988، 97) . فكل الأولياء الذين يدعون بوالي هم مختارون من طرف الله ، الذي أعطاهم البركات، ولكن مهما كانت أسباب الخيار الإلهي، فإن الوالي يظهر اليوم في المغرب كسلف المشترك لجميع أشخاص القبيلة الذي هو شعارها . (Ferchiou.S :1973,p532)

2-رسالة الشيخ نمط تقليدي مستمر

تستخدم رسالة الشيخ "البرية"، لإصلاح ذات البين، فالشيخ يعمل على التوفيق بين مصالح الخصمين من أفراد المجتمع، وفي الأصل،كانت تأخذ هذه الرسالة بالكلمة ومازالت، وعندما أصبح الورق متوفر أدخلت تقنية الاستدعاء كوسيلة للاتصال . فهي ليست مجرد إرسال مراسيل عن طريق وساطة الشيخ، ولكنها تحمل أيضا اعتقاد أفراد المجتمع،كما تعبر عن نفسية المشكو في حقهم، وعن إحساسهم وحاجاتهم وطلباتهم، وتبين عمق مأساتهم وآلامهم، فالرسالة لها أبعاد نفسية عميقة .

وتتميز رسالة الشيخ البشير بمنتهى البساطة، ركيكة وغير مكلفة، سواء على مستوى الشكل أو المضمون،حيث لا يراعى فيها الإجادة، المهم إيصال خطاب تبليغي إلى أحد الخصمين، ويرجع سبب ذلك إلى عقلية وأسلوب نمط المعيشي لأفراد مجتمع . وتتميز الرسالة من حيث الشكل بنوعية الورق العادي المكتوب عليه الرسالة والتي لا تتجاوز مساحتها 180 سم^2 ولا تتعدى 250 سم^2، وذلك بسبب التوافد المتزايد والمستمر من الزوار ذهابا وإيابا، وكذلك من ميزة نمط المعيشي للمتصوف هي حياة التقشف والابتعاد عن المغريات الدنيوية. وتشمل صفحة الأولى من الرسالة حوالي خمسة إلى سبعة أسطر، أما الصفحة الموالية للرسالة (الوجه الثاني للورقة)، فلا تتجاوز سطر أو سطرين متبوعة بختم الزاوية . أما نوعية الحبر فهو مجرد قلم الجاف، بينما نوعية الخط فيستخدم الخط العربي الحديث و أحيانا الخط المغاربي، ويكمن جوهر هذا الاختلاف، في اختلاف الرجلان الشيخ ونائبه .

وتتكون رسالة الشيخ البشير من العناصر التالية :

أ-الديباجة :

وجود البسملة في بداية كل الرسائل "*بسم الله الرحمان الرحيم*"، مع ذكر مكان الذي أرسلت منه الرسائل "*هذه الرسالة من زاوية الشيخ البشير*"، أما تاريخ الرسالة فلم يذكر .

ب-**التعريف بأصحاب الرسائل** :

توجيه الرسائل من "المرسل" إلى"المستقبل" حيث يذكر الاسم واللقب بالنسبة للرجل، ويذكر إسم الأم بالنسبة للمرأة "*فلانة ابنة فلانة* ". وتتعدد ثنائيات (المرسل، المستقبل)، مع غياب العنوان.

جـــ –المتن:

نجد أسلوب بداية الرسالة قد بدأت بالصلاة على النبي "*والصلاة والسلام على أشرف المرسلين*" وأحيانا تضاف بعد الصلاة على النبي بإلقاء السلام "*السلام عليكم و رحمة الله تعالى وبركاته*".

كما يحتوي الخطاب الصوفي على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب المواضيع التي يسمعها من المشكو في حقهم . بينما مواضيع الرسالة فان مضمونها يشمل على شكاوي وطلبات، وأحيانا طلب الحضور سواء ذكرت الأسباب أو لم تذكر، بحيث تتنوع الشكاوي والطلبات حسب رغبة مرسلي الرسائل.

د- أخر الرسالة :

قد نجد إلقاء السلام، أو دعاء الشيخ بالخير والتوفيق، الإلحاح في الطلبات حيث نستشف ذلك من خلال التكرار كأمر إلزامي، سواء تعلق الأمر بإرجاع الحقوق أو طلب الحضور مع ذكر اليوم والوقت المحدد بعد صلاة المفروضة كالظهر والعصر . وأخيرا توقيع الشيخ والمتمثل في رسم رمز الزاوية وقدسيتها"هلال ونجمة".

أما إذا أخذنا نصوص الرسائل التي تتضمنها محتويات النصوص وقمنا بتحليل معطياتها اللغوية في ضوء الواقع الذي تشكلت من خلاله، فقد جاءت الألفاظ متداولة اجتماعيا لا غرابة فيها، فهي لغة التخاطب العام مثل خدعتها- فاقطع- منيتها ....الخ. ولقد جاءت الألفاظ محدودة الدلالة، فاستعمال اللفظ بمعناه الشائع في الأوساط الاجتماعية، تتسم بالعذوبة والليونة تارة والغلظة تارة أخرى، مثل *رجع زوجتك وخاف من الله"* .

بينما جاءت العبارات بسيطة المعاني، سهلة التركيب والبناء، ويلجأ الشيخ إلى أسلوبي الترغيب والترهيب مثل لا يفلح الغادر والعاقبة للمتقين، أي كأداة للردع وحل النزاع . أما أسلوب السائل بمجمله خبري مناسب لتقرير قضايا الخصوم مثل "*جاءت*"، "*قالت*" حيث وظف الأفعال الماضية، لفعالية سرد أحداث القضية بناءا على طلب المدعى.

في حين تبين الأفعال المضارعة الشكاوي والطلبات، ويظهر دور الشيخ في الأساليب الإنشائية كأمر إلزامي، وهو بمثابة الحكم القضائي يدل على سلطة الشيخ في المجتمع مثل أتركها، أعطوا، اتقوا .

ومن بين الألوان البديعية القليلة المتواجدة في الخطاب نجد الطباق، مثل "يحفظكم ....يهلكه"،"صالح...مخادع" والاستعارة مثلا " نحن نجعل دعوة النصف في الظالم حتى يهلكه الله "، فقد جعل الفاعل "لدعاء الشر" وعاء وأفرغه على سبيل الاستعارة المكنية، وهذه الاستعارة يقصد بها الحرص الشديد على ارتباط دعاء الشر في الظالم حتى درجة الهلاك. كما أنه يستخدم السجع "اتركها وشأنها، لقد غدرت بها".

ونجد للرسائل بنية اندفاعية، تحتوي على وحدة نفسية واحدة، تتميز بالدفق والاندفاع المصبوغ بالغضب، فالخطاب منذ البداية حتى النهاية كان غاضب أي المنحنى لم يهبط و لم يصعد كحالات الغضب الأخرى .

فلغة هذه الرسالة بالتحديد، بنيت ألفاظها وجملها في مركبات دالة بدلالات عميقة تبين نفسية المحتوى . فالقراءة السطحية تقول أن هناك ألفاظا ونهايات مسجوعة، بينما القراءة العميقة تقول أن هناك لحظة غضب تطلق قذائفها السريعة، مثلا : *السلام على من اتبع الهدى –أتركها وشأنها – غدرت بها –الله يهلك الظالم.*

ونص الرسالة له ميزة جمع المختلفات، فنجد هناك خطاب "واقعي–حلمي" حيث تصرد أخبار لوقائع وأحداث المدعى "الجانب الدنيوي" مثل علاقة الرجل بالمرأة أو علاقة البيع بالشراء ....الخ، ثم يربط الواقع بالآخرة أي علاقة بحياة ما بعد الموت وبعذاب الآخرة. *"كل واحد منكم في حده ..والظلم ظلمات يوم القيامة "، وكذلك* "نفذي *وصية أبيك إنها أمانة سوف يحاسبك الله عليها يوم القيامة...*اعلمي *أننا كلنا سوف نلقى الله تعالى عراة كما خلقنا فلا يغرنك شيء من حطام الدنيا فإنها فانية لا يبقى منها شيء"* . فنجد (الحسي–المثالي)،(الشاهد–الغائب)،(الأمر–النهي)، وليست المسألة مسألة تعارض أو تناقض، فإذا نظرنا إلى خطاب الرسالة كنظرة أحادية الجانب، فالثنائيات تعتبر بالمتضادات . أما إذا نظرنا إليه من منظار مختلف أي من حيث إختلاف السياق والمقام، وتعدد مستوياته ومراتبه، وكثرة وجوهه وأبعاده فإننا سوف نرى رؤية واسعة، وهكذا تصبح رسالة الشيخ وسيط من خلالها يتحول العالم المادي والأفكار الذهنية إلى رموز، فتصبح لها وظيفة اتصالية التي تفرض علاقة بين المتكلم والمخاطب، وبين المرسل والمستقبل.

3–مكانة الرسالة عند الأهالي

أ– الرسالة هي رمز مقدس:

تعرف عند مجتمع البحث بمعيارين أساسيين وهما السخط *"رسالة وعرى"* أي أنها صعبة، وتصل ذروة الاعتقاد إلى اعتبارها *"ما نفوتوش شقها*" أي عدم وجوب تجاوزها.

ولقد ارتبطت هذه التمثلات بالنساء أكثر من الرجال، مع انعدام المستوى الثقافي وانحدارهم من مناطق ريفية تنتمي معظمها إلى العشائر الموالية للمرابط "*سيدي احمد بن علي*"، أصل زاوية الدراويش، وأكبر نسبة لهذا التمثل ارتبطت أيضا بالذين يعتقدون أن نسبهم غير شريف، مما يجعلهم يتقربون من الشرفاء وأصحاب الإرث الرمزي .

هذه الفئة تجمع في ذاكرتها أخبار أولياء غريس، تحدثت عن قيمة الزاوية والغاية من وراء زيارتها . وتعتبر رسالة شيخ البشير حسب تمثلاتهم بأنها وسيلة للضبط الاجتماعي، سلاح ضد القهر والظلم خصوصا بالنسبة للمرأة، هي نوع من التمرد ضد الرجل، حيث تمد بالقوة والطاقة لمن يحملها . فتصبح سلاح فتاك من نوعه، وفي نفس الوقت عبارة عن حرز. ولتفحص صدق تمثلاتهم، لاحظنا ارتباطهم بجملة من الطقوس، والمتمثلة في سلسلة من الطقوس كالجهود والتطهير التضحية، وهي: طريقة كلامهم مع الشيخ، محاولة التملق له واستمالته بالبكاء، تقديسه، تقبيل يده، مناداته ب"سيدي"، كل ما يلمسه الشيخ يصبح مقدس، فيقومون بجمع الماء من البئر، الخبز وحتى تراب الزاوية وأي شيء يعطى من طرف الشيخ يصبح مقدس، مهما كان حتى قطعة الحلوة تصبح رمز مقدس، لا تأكلها المرأة وحدها بل تتقاسمها مع بقية أفراد عائلتها . إن الخضوع للرسالة هو خضوع لكلمة الشيخ، لأن الكلمة هي قبل كل شيء وبالتدقيق خاتم، هي نوع من عقد ملكية الإنسان، على ميدان في ظاهر لا أهمية له، لأنه مختفي(Gall . M :1972 ,p.157) .

فمن ينظر إلى الشيخ بمعيار البركة، يثقون به ثقة مطلقة، وعندما يصلهم استدعاء من عند الشيخ فهو شرف عظيم بالنسبة لهم، بالرغم من شعورهم بالإحراج، وتعتبر الرسالة عندهم كحرز، فمعظمهم لا يرسلون الرسالة إلى الخصم وإنما تعلق عند باب منزلهم من أجل البركة فهي حجاب، سلاح ذو حدين تجلب النفع لصاحبها، وفي نفس الوقت تنتقم من المعتدي، فتصبح وسيلة إعلامية، فأي إشارة، رمز أو رؤى تأخذ بعين الاعتبار، والرسالة عندهم يحتفل بها بجملة من الطقوس من باب محبة الشيخ والطمع في بركته عكس الفئة الأولى التي تحتفل بها من باب الخوف من سخط الشيخ . هكذا يتبين لنا أن مصطلح الطقس يتناول علاقة مباشرة بين الشخص والإله، بين الوضعية الإنسانية، وفكرة المخلوق أو المخلوقات،.. وهذا يتطلب تغيير موقف إلى هدف احتفالي كشرط أساسي ويرجع بناء اجتماعيا إلى مفهوم الوظيفة والزمن الطقسي وإلى سببية خاصة (Charnay. :1977, P, 153) .

ب- الرسالة كرمز السلام :

هذه الفئة تؤمن بالولاية الروحية للشيخ كرجل صالح، ويعتقدون أن له دعاء مستجاب، وكلمته موجودة في رسالته، التي يعتبرونها رسالة سلام، إنها استدعاء من شخص له مكانة عالية في المجتمع، تستخدم لحل المشاكل

والتوسط من باب الجاه كوسيلة قديمة عرفت في المجتمع العشائري . وقد ارتبط هذا التمثل في الأغلبية بالرجال، مع تباين في مستوى الثقافي والاجتماعي والنسب.

جـــ- الرسالة كرمز الخراب والصراع:

هذه الفئة لا تؤمن بالشيخ، ولكنها تؤمن بخطورة الرسالة بسبب أحداث وقعت لأشخاص جراء عدم احترامها وهي غير مرحب بها، يمنع منعا باتا من دخولها إلى البيت سواء تعلقت بالمعني بالأمر أم لا، إنها رمز العداء .

د- عدم الاعتراف بالرسالة :

هذه الفئة تتحدث بحذر شديد، فهي لا تطلع برأيها وتمثلاتها بسهولة، ولكن بعد استدراجهم اتضح لنا عدم ارتباطهم بالزاوية، فمعظمهم يحضرون لأخذ رسالة، كوسيلة لضغط على الأخر الذي يؤمن بها، وبالتالي تصبح هذه الرسالة حيلة لتأثير على الأخر من أجل لعبة المصالح . ونستطيع أن نقول شبه غياب للمستقبل في هذه الفئة.

رابعا-واقع الأسرة بمنطقة الدراويش

1- بنية أسرة الدراويش

تعرف الأسرة في مجتمع الدراويش بتسمية "*الخيمة*"، فإذا كانت أسرة كبيرة ، وذات حسب ونسب فهي الخيمة الكبيرة، وحتى أفراد الأسرة يعتبروا "*أولاد الخيمة الكبيرة*" ، وفي الأصل عرفت الزاوية بتسمية الخيمة الكبيرة، باعتبارها كمنظومة متعددة الخدمات، وأحيانا تشبه الأسرة الأصيلة بالزاوية .

ومن جهة أخرى، نجد أن الخيمة ارتبطت أيضا بالمرأة، فتعرف النساء هناك بأنها "*خيمة فلان*" بمعنى أنها "*زوجة فلان*"، بينما الغير المتزوجة فهي معروفة عندهم "*هذي من خيمة فلان*"، فالأولى هي مستقلة تابعة لرجل أخر، ويصبح لها كيانها خصوصا عندما تنجب أولاد ذكورا، فتصبح سيدة في عشيرتها، فأبناءها الذين أنجبتهم هم الذين صنعوا لها مكانتها، فتستطيع التنفس وتتكلم بينما المرأة التي تنجب البنات فهي امرأة أقل حظ ومكانة، أما التي لا تنجب فلا مستقبل لها في بناء أسرة، مما يجعلها تزور بعض أضرحة أولياء الصالحين، كضريح سيدي قادة المعروف بعمار الديار ثم تستتبع بزيارة زاوية الدراويش، وعندما تتحقق أمانيهم، يسمى الطفل البشير .

بينما يعرف الرجل "*مولى دار*" أي رب الأسرة، أو *تراس* وهو رجل الفحل المتزوج، وله أولاد، حيث تسمى أسرته بالغراوين أي الأبناء، جمع الغريان أو الولد، فتنعدم هنا وتغيب المرأة الأم في وسط أبنائها، حتى الرجل حديث الزواج، عندما يسأل عن حال أسرته أو زوجته، فيطرح عليه سؤال، كيف حال الغراوين؟ أي الأسرة .

وكثيرا ما يشبه الرجل بميزات كالعدل، الحق، الصبور، القوي لقول إحدى المبحوثات : " *الرجل كرب، يعطي وما يمنش* "، وهذا ما أشار إليه حليم بركات في اشتراك الأب بمميزات خارقة للعادة، تماثل مميزات الله (بركات .ح:2000، 368) . وهو يعرف في أسرته وفي العشيرة بلقب *سيدي* .

بينما الثانية فهي مازالت تابعة لأهلها، وفي كلا الحالتين نجد أن المرأة لها مجالها وفضاءها الاجتماعي والمتمثل في الرجل، سواء كان زوج، الأب، الأخ، الجد، الخال أو العم ...الخ . وحتى شيخ الزاوية، فمن تتردد كثيرا ذهابا وإيابا إلى الزاوية فهي أيضا مصانة ببركات الشيخ الذي يمثل فضاءها، فلا يستطيع أحدا التجرؤ عليها .

2- سلطة أم الذكور

تلعب الأم دور رئيسي في الأسرة، والمتمثل في جمع الشمل والمحافظة على العلاقات الاجتماعية ورغم تفرعات الأسرة، وقد يتزوج كل الأبناء ويكون كل منهم أسرة وبيت خاص به، ولكن تبقى غريزة الأم في حب الامتلاك،

وفي متناول الحديث الشعبي الجزائري عامة، يقال *:" من يكونوا الوالدين حيين تكون الخيمة ملمومة، ومن يرحوا، يتفرق الكل"*، فلا يمكن للعواطف الوجدانية أن تغيرها الحياة المادية مهما كانت سماتها وميزاتها .

فأم الأولاد التي تلقب بالعجوز، بعد تزويج أول ابن لها، تمتلك السلطة والمتحكمة في زمام الأمور، وفي طبيعتها لا ترضى أن تأتي امرأة دخيلة وتعمل على تسيير بيتها الذي بنته لعدة سنوات، ولكنها تحب أن تحافظ على نظام بيتها، وتندمج داخل أسرتها، لكي تستطيع هي الأخرى أن تلعب دور المحافظة على انسجام أسرتها مستقبلا .وهنا يتضح لنا كيف تستطيع أم الولد كسيدة أن تستفيد من قواعد البطركية، وتخدم مصالحها، ويصبح الرجل تحت طاعتها، وتعرف كيف تأثر على أولادها (Lacoste-Dujardin .C : 1990, p.54-55).

وفي المقابل نجد " ألكنة" زوجة الابن، تمتثل لأوامر شيخ الأسرة والعجوز، وذلك تحت وصايا أهلها، فالأم تربي ابنتها على احترام أهل الزوج، وأن لا تتكلم في حضرة العجوز والشيخ، وأن ترتدي لباس مستور، وتعرف تحضير الطعام والكسكس، وتتميز بالآدب والرزانة . "..*وتكون ثقيلة مشي خفيفة، صبارة وساجية* " .

فتربية الولد هي من اختصاص الأب، في حين تربية البنت هي مسؤولية الأم، وهنا يظهر دور الأم في توجيه ابنتها لتكون امرأة صالحة . (Lacoste-Dujardin .C : 1990, p.63). فإذا رضيت العجوز على ألكنة فإنها تبقى ولا يمسها أدنى أذى، حتى أن والدتهن توصهن بطاعة أم الزوج، بناءا على حكمة تقول: " *دعوة زوج ولا دعوة العجوز*". ولا يحق لها أن تأكل مع زوجها . (Lucas.PH, Vatin .J.C :1975, P.108)

فقد خلقت لخدمة الرجل، ولهم اعتقاد مهما كان سن الرجل وثقافته، ومهما ارتفع مستوى المرأة يستطيع أن يتزوج بها أي رجل كان (Taveau.v/1999, P.158) . وكذلك أشار "جيرونيمو" في دراسته لاولاد سيدي الشيخ، كيف يتم التعامل مع المرأة ونوعية الأعمال التي تكلف بها دون الرجال كرمز لتصغير والاحتقار من شأنها(Géronimo: 1854, p.09).

وغالبا تختار ألكنة، حسب مكانة أولياءها، فإذا كانت أمها صبورة ومطيعة، فالبنت صالحة للزواج، على حد قول المثل الشعبي " *اقلب القدرة على فمها، تخرج البنت كي أمها* " .

ومن جهة أخرى كلمة الرجال، إذ يراعى أن يكون والد ألكنة رجل له الكلمة على أسرته وابنته، لأنٍ الكلمة هي اغتصاب السلطة حتى على لا شيء (Gall . M :1972 ,p.157) بينما علاقة الحب بين الرجل والمرأة هي مرفوضة وعار، " *احن تزوجن، بلا ما نعرف الرجل، كيف ما كان حاله، اقجع، أعمى، اعور، هو رجل* "

" احن بكري، كن نصبروا على العجوز، ولدت شحال من ولد، وقعدت تحتها "

بينما مؤخرا، أصبحت ألكنة تعمل جاهدة على فرض كيانها داخل بيتها الجديد كمنافسة للعجوز، وعندما تنجب أول ولد، وأحيانا بمجرد أن تصبح المرأة حبلى، تطالب ببيت مستقل عن بيت العجوز، وهنا يحدث صراع وتصادم بينهما، فكل شيء نسبي .

وينتج عن هذا الصراع حالتين وهما إختلاف وتباين الأدوار الاجتماعية داخل الأسرة الممتدة، أي دور الأم في حالة القوة، حيث تستمد قوتها من خضوع أولادها الذكور لها .

أما الحالة الثانية تتمثل في دور الأم في حالة الضعف، عندما لا تنجب أولاد كثيرين، فمعظمهن قد تنجب ولد واحد، لا يطيعها بعد زواجه .

عندما تملك العجوز سلطة في الأسرة، تصبح صاحبة الأمر والنهي، وتصبح "ألكنة" في حالة رضوخ شبه تام، إلى درجة عندما تريد قضاء حاجاتها كالذهاب إلى الحمام، أو زيارة أهلها أو أي حقوق، فلما تطلبها من زوجها، فيشير لها :" *حتى تأذن لك أمي*"، أو يصمت حتى يشاور والدته . ومع الوقت يحدث إنفجار كرد فعل، الذي بني من خلال تصورات وأفكار أولية مفادها: " *من يحكم في الزوجة، ومن له الحق ؟*" .

وفي هذه الحالة، عندما تغضب الأم، فلا بقاء ولا وجود لهذه ألكنة في هذا البيت، مما يؤدي إلى خلافات زوجية حادة تصل إلى الطلاق .

ونشير هنا إلى سلطة أهل ألكنة، الذين يرفضون تمرد ابنتهم، وتجبر على طاعة العجوز، ولا يحق لها أن تتكلم عن أهل الزوج، مهما كانت النتائج، لقول المبحوثة (فتيحة،م) : "...*أول مرة شكيت لأختي الكبرى عن مشاكلي مع العجوز، فأخبرت أمي التي وبختني بشدة، وطلبت مني الصبر ..وأن لا أجلب لهم العار، لا نريد أن نسمع شكاوي من أهل الزوج، ويقال لنا، ابنتكم ليست كما كن نعتقد*" .

أما إذا كانت والدة ألكنة تسيطر على زوجها، فإنها تحب الاستقلالية لابنتها، وعندما يتفاهم أهل الزوج والزوجة حول مشاكل الكنة، يتبين لهم جيدا من يحكم في خيمة ألكنة . ولقد كثرت هذه الظاهرة، مما جعل أفراد المجتمع يفطن إلى الذهاب إلى شيخ الزاوية من أجل إصلاح ذات البين . يقول المبحوث (محمد،ت) : "*كاين فرق كبير بين النسا تع بكري والنساء تع اليوم ...، المرأة اليوم تبغي الرجل وحده*"

فعندما تحدث خلافات زوجية بين الزوجين، فان جوهر هذا الخلاف يكمن في الأساس، إما علاقة العجوز بالكنه أو علاقة الزوج بالزوجة، مما يستلزم تدخل الأم للفصل بينهما.

2- المرأة والمزارات

ظاهرة ارتباط المرأة بالمزارات، هي خاصية قديمة ارتبطت بزيارتها لهؤلاء السادة الروحانيين، فقد حددت بزمن اسمه بكري، وقد تكون الزيارة للتبرك، من أجل الشفاء من الأمراض، من أجل إنجاب الأطفال، شكوى سرية ضد الظلم أو من أجل أهداف من أجل التحقيق، فلا فرق بين الزيارة والرسالة عند معظم المسنات، فقد تكون زيارتها سرية، بالكلمة، أو حرز لحمايتهن من القوى الشريرة (الجن) .

ولقد أشار لنا (Penazzo.A : 1954) في قصة مغربية قصيرة بعنوان"فضيلة"، كيف أن زيارتها السرية لسيدي إدريس تحققت بعد حين، وتزوجت مع من تحب . إن هذه الرواية توحي لنا على ارتباط الشديد المرأة بظاهرة الأولياء ورؤساء الزوايا، وخلال دراستنا للخلفية التاريخية لأولياء الصالحين، فوجدناهم كانوا في الأصل رؤساء زوايا . ونفس الشيء أشار إليه المفتي بديار معسكر "الهاشمي بن بكار" ظاهرة لجوء النساء إلى رؤساء الزوايا هربا من ظلم وقهر القياد كرمز للسلطة الزمنية (بن بكار. هـ: 1961، ص 291 -292) .

فكثيرا ما تتبادل النسوة الحديث فيما بينهن، وتشير "*الي تنحقر ويسواد سعدها من نهار الأول، تبقى دايما محقورة*" بمعنى حسب اعتقادهن، من عاشت المأساة والظلم منذ البداية، فإنها تبقى على حالها لا تتغير . خصوصا أنهن يربطن حياتهن مع أزواجهم منذ ليلة الزفاف، التي تعتبر بالنسبة لهن ليلة عار، حقره واغتصاب .

تقول المبحوثة (فطيمة،م) : " بكري نحن لم نعرف الحب والعشق، مثل بنات اليوم، كن نرضى بأي رجل كان ومهما كان" . فالمرأة منذ إعلان عن ولادها وهي تعاني، كما أشارت لنا "فقار يمينه" كما يقول المثل الشعبي " بيت البنات هو بيت الهموم"(Fekkar.Y :1981, p.137)، في المقابل يعتبر الذكور مجموعة اجتماعية مفضلة في عملية نسج العلاقات الاجتماعية .

ومازالت إلى غاية يومنا الحاضر، شكواها سرية، سواء تعلق الأمر بأفراد أسرها كالزوج والأولاد، فتتمحور نواياها في طلب الهداية لهم، بينما أعدائها فتقول " الظالم جبت عليه زيارة". فالعلاقة بين نظام القيم التقليدية والإسلام، تشكل المكان الذي نريد فيه أن نركز تفكيرنا على النساء والإسلام في الجزائر، وهكذا نستطيع أن نرى بموضوعية العراقيل لما اعتدنا أن نسميه ترقية المرأة في إبقاء الانسجام الاجتماعي والابتعاد الذي تأخذه تدريجيا إزاء الدور التي تعطيها إياها العادة والإسلام في نقد هذا الانسجام. (S :1981,p.124. Khodja)

3- المرأة ورسالة الشيخ

أ. العمل على التفريق بين الزوجين:

رقم الرسالة	نوعية المشكل	(المرسل – المستقبل)	كاتب الرسالة
10	ظلم الزوجة	(السيدة–السيدة)	نائب الشيخ
18	طرد الزوجة	(السيدة–السيد)	نائب الشيخ
23	تدخل مابين الزوجين	(السيدة–السيدة)	نائب الشيخ
02	القدرة على الإصلاح	(السيدة–السادة)	نائب الشيخ
42	قضية التهمة	(السادة–السادة)	شيخ الشيخ

والجدير بالذكر، أن ظاهرة شكوى ألكنة في أهل زوجها جديدة، ففي الماضي كانت شكوى المرأة سرية، أما اليوم أصبحت علنية، وحاملة للطرف الأخر رسالة مخطوطة من عند الشيخ، التي تعتبر إعلان عن الحرب، خصوصا إذا أرسلت إلى شيخ الأسرة والعجوز .

وحسب الجدول رقم 01، نلاحظ أن الشاكية في كل مرة هي ألكنة، في حق العجوز حسب الرسائل رقم 10 و23، وأحيانا تكون مرفقة مع زوجها شيخ الأسرة، مثل رسالة رقم 18 و02، أو مع ابنها مثل رسالة رقم 42، فلا نجد رسالة واحدة تبين مشكل خاص بين الزوجين، دائما هناك من يتدخل فيما بينهم .

وكانت الشكاوي مركزة ضد الظلم، واتهام بشرفهن، مثل رسالة رقم 42، فالشيخ لم يذكر نوع التهمة حفاظا على قيم الاجتماعية للمجتمع، فاتهام المرأة في شرفها وكرامتها يصلح ولا يجب إكثار الكلام فيه.

فظاهرة تعامل ألكنة مع الهاتف النقال، أحدثت مشاكل كبيرة، منذ شهر الأول من الزواج .

أما رسالة رقم 23 :"*إذا راكي داخل سبب الطلاق ما بين الزوجين فتقدمي إلى الزاوية ...، أما إذا لم يكن لك دخل فالله يهدي الجميع*".

فنائب الشيخ يخاطب ضمير هذه العجوز، فإذا كانت فعلا مذنبة، يطالبها بالحضور، ونفس شيء بالنسبة للرسالة رقم 12 :"*في جاه ربي رجعوا هذه الزوجة وهذوا الأولاد*".

ب- العمل على تفريق بين أفراد الأسرة :

رقم الرسالة	نوع المشكل	ثنائية (المرسل، المستقبل)	كاتب الرسالة
03	تفريق بين الأم وابنها	(السيدة، السادة)	نائب الشيخ
32	تفريق بين الأم وابنتها	(السيدة، السيدة)	نائب الشيخ

في الجدول رقم 02، تلعب الأم دور "مرسل الرسالة"، فتأتي شاكية، باكية، ولقد أشار نائب شيخ الزاوية في خطابه عن حالتها، فيقول :"هذه السيدة(ص)،راهي مغبونة أعلى ولدها السيد (م) ...راهي تدعي أعلى لفطرق بينها وبين ولدها". فعندما تفقد الأم دورها التسلطي، فإنها بالتأكيد سوف تفقد سلطتها، مهامها، وكل ما تملك، حتى فلذات كبدها، فكل شيء نسبي . فحسب تصورات هذه الفئة، أن الأباء يحتاج لأولادهم في العقايب، أي المستقبل فهي لم تلده لتعطيه لأشخاص آخرين . وفي نظرة المغاربة لمسألة الأمومة فإنها مرتبطة بثلاث عناصر، من بينها "العقايب"[5].

وكانت مطالبها إلى" زوجة ابنها وأهلها"في الرسالة هو التوقف عن النميمة، والمتمثل في التفريق بين الأم وابنها، غير أنه تم رد عليها برسالة رقم 23 كاتهام لها وجواب عن سبب ابتعاد ولدها عنها). ونفس الشيء نلاحظه في الرسالة رقم 32 (*..ارجعوا البنت (ن) إلى أمها السيدة (م)، الله يهديكم ترجعوا لها ابنتها، الله يهديكم*)، فالحضانة هي من حق الأم .

جـ -الخلافات الزوجية:

رقم الرسالة	نوع المشكل	ثنائية(المرسل، المستقبل)	كاتب الرسالة
08	مقابلة	(السيدة، السيد)	شيخ الزاوية
13	طلب الرجوع	(السيدة، السيد)	نائب الشيخ
06	الطلاق	(السيدة، السيد)	نائب الشيخ

في الجدول رقم 03، نجد أن رسالة رقم 08 عبارة عن استدعاء للمقابلة ما بين الزوجين، لا يمكننا فهم أدنى شيء ما بين السطور، أما بقية الرسائل حسب الجدول فهي تشمل مطالب النساء، فمثلا رسالة رقم 13 تطالب المرأة بالرجوع إلى بيت الزوجية، تحت وصاية

[5] : A la question posée aux femmes : pourquoi voulez-vous un enfant ?
La réponse tourne souvent autour de ces trois phrases :
"1-Les enfants c'est une assurance pour la vieillesse (el-aqa-ib).
2-il faut avoir de la descendance, cela est bien.
3-j'aime les enfants , il vous apprennent la tendresse3"

Fekkar .Y : 1981, p.135-146.

جاه الشيخ الزاوية، فهو شرف كبير لها، لأنها قبل رجوعها تطالبه أمام الشيخ بالمعاملة الحسنة، ولكن قد نتساءل،هل فعلا كل النسوة اللاتي رجعن تحت وصاية شيخ الزاوية سعيدات الآن في زواجهن؟.

وما هو شعور الزوج عندما تحضر له زوجته رسالة الشيخ ؟ ويطالبه بإرجاع زوجته مثل الرسالة رقم 13؟ "*رجع زوجتك, الله يهديكم والله يجعل الخير بينكم*" . فقد تختلف وجهات النظر حسب اختلاف تصورات وتمثلات هؤلاء الأشخاص للشيخ وللرسالة .

لقد شبه إحدى المبحوثين بركة الشيخ بالوالدين، وكأنه يريد أن يقول هو أب الجميع، لقوله (محمد، ت) : "*إن كلمة الشيخ ودعائه مثل دعاء الوالدين، حتى وإن تنازلنا، سيبارك الله لنا ويكون هناك جزاء في الدنيا قبل الأخيرة، فمثلما يقولوا الوالدين اترك هذه قطعة الحلوة لأخيك الصغير، فهذا الابن سيجزى على طاعة الوالدين*" .

إن خاصية طاعة الشيوخ كظاهرة معروفة ومنتشرة في المغرب العربي ككل، فلا يوجد استثناء في هذا المقام، إن هذه الفئة من الرجال وبفضل البركات التي تنسب إليهم والى كل ذرية الرسول (ص) فهم لا يخضعون للقوانين العامة. وبعض الرجال الذين ينتمون إلى بعض العائلات الكبيرة يملكون تأثيرا وسلطة خارقة للعادة، فهم يبحث عنهم في كل مكان وتتبع أوامرهم بالحرف الواحد وقراراتهم مقبولة بصفة لا رجعة فيها لحل كل التراعات، حتى ولو في بعض الأحيان تكون الأحكام الصادرة عنهم ضد الإسلام . (Walter.B.H :1929, P.235-236)

لقول (علي، ف) : "*لا أستطيع أخذ شيء بدون رضا الشيخ، مثلما لا أستطيع أن أدخل داخل النار، فهل تستطيعين الدخول داخل النار؟، نفس الشيء أنا لا أستطيع مخالفة أوامر الشيخ مهما كان الثمن*" .

فخطاب الشيخ مرتبط بالمقدس انه القرآن الكريم، فهو الوحيد في المنطقة الريفية الذي يعرف القراءة، فهو يعلم القرآن وأحكام القرآن ويعمل على تطبيقها من خلال حل الصراعات وإصلاح ذات البين .كل هذا يجعل منه مثقف تقليدي، فتخضع له الرقاب لامتلاكه المقدس، لهذا شبهت "فاني كولونا" طالب العلم بالمعلم والراهب l'instituteur et le curé فهو الذي يأذن للصلاة ويوزع العقاقير والحرز، لأنه يعرف الكتابة فإنه يدخل في الشؤون العائلية[6]. (Colonna.F : 1981, p.193)، "فمعظم هؤلاء القديسين الذين يعتبرون علماء لا يعرفون سوى القراءة والكتابة" . (Colonna. F : 1975, P.31)

وتكمن سلطة كلمة الشيخ البشير لأنها قائمة على أساس تصور مدى خطورتها في حالة عدم احترامها، إذ أنها تنطوي على العقاب الفوري، فكل من يعتقد في الشيخ أجابوا:" *تخاف على روحك*"، وتشير سجلات المبحوثين إلى العديد من الأحداث والوقائع التي حدثت جراء عدم احترام كلام الشيخ . وهنا يتضح لنا أن الكلمة هي التي لها السلطات، وليس صاحبها (Gall . M :1972 ,p.157) .

[6] Colonna, F : 1981, P, 193
« *parce qu'il sait écrire on le mêle souvent aux affaires famille parce qu'il sait lire « il déchiffre, pour le cheikh, les dépêches du chef de bureau, il n'est pas un savon, mais le seul savant, la lumière, l'oracle de la tribu* ». Colonna, F, 1981, P, 193

ولهذا تعتبر السلطة قيمة القيم ونواة الروحية لأنه لا قيمة لأي شيء مهما كان غالي ثمنه، إذا لم تتوفر فيه قوة الوجود" (Helzfeld.H : 1993, P.191)

مبحوث :" *إن شيخ هو صاحب البركة وله دعاء مستجاب وفي حالة عدم إتباع كلامه، سيحدث أمر ما فقد أخذ الشيخ البشير للجاه من اجل إرجاع امرأة لبيتها فلم يحترموا قراره وقيل إنهم لم يحترموه، وعقب خروج الشيخ من بيتهم على بعد خمسين متر، وقع لهم حادث والمتمثل في حرق البيت"* .

كما تؤكد إحدى المبحوثات: "إن جاه الشيخ، صعيب، وفي حالة عدم إتباعه تحدث مصيبة، زوج ابنتي تعدى حدوده وظلم ابنتي ونصحه الشيخ وطلب منه أن يكف عن الظلم والكذب غير أنه لم يسمع كلامه وبعدها حدث له حادث مرور مازال إلى غاية يومنا الحاضر معوق لا يستطيع المشي" .

وهكذا يتضح لنا "إن قيمنا ليس لها أهمية إلا إذا كان لها قوة التي تفرض علينا، وبالتالي فالسلطة هي الخاصية الأولى لكل آلوهية (Helzfeld.H : 1993, P.191).

وتأكد مبحوثة (جميلة، س) على مدى العقاب الفوري في حالة عدم احترام الشيخ لتقول:" *إن من يتعدى حدود الله هنا في الزاوية وعند الشيخ فإنه يدفع الثمن غالي وباهض الثمن، إن زوجي ظلمني في كرامتي وشرفي، وعندما حكم بيننا الشيخ كلنا أصرا على موقفه، فقال لنا الشيخ "الظالم ربي يهلكه في صحته " وتحقق كلام الشيخ، فزوجي يعاني من مرض مزمن وهو الآن عاطل عن العمل لم يجد حتى ثمن الدواء"* .

أما رسالة رقم 06 عندما تفشل الحياة الزوجية ويتفاقم وضعها، تلجأ المرأة إلى شيخ الزاوية من أجل الطلاق بالتراضي اختصارا للوقت والتكاليف خصوصا من أجل الراحة النفسية،وهذا ما ورد في رسالة رقم 06 :" *راهي تطلب منك بشريعة النبي،أتبعد عنها وتعطيها حقها"* ، كذلك الرسالة رقم 08 :" *أعطيها قشها بالتمام ما بغاتش تقعد عندك،رانا حولناها وقلنا لها وما بغاتش تولي"* .

أما رسالة رقم 04، يرسل أخو الزوج ويطالب زوجة أخيه بالقسم على المصحف القران الكريم، على ادعائها في اتهامه بضربها وإسقاط لها الجنين. لقول الشيخ " *...هو يقول انه بريء من هذه التهمة، فنرجو منك الحضور في الزاوية"* .

د- سرقة مال الزوجة:

رقم الرسالة	نوع المشكل	ثنائية(المرسل، المستقبل)	كاتب الرسالة
45	استيلاء على مهر ألكنة	(السادة، السادة)	نائب الشيخ
38	سرقة ذهب	(السيدة، السيدة)	نائب الشيخ

وينتج عن صراع ما بين الزوج وزوجة الابن عادة، الاستيلاء على مهرها وأثاثها، من خلال الجدول رقم 04، نلاحظ مثلا رسالة رقم 45 التي يخاطب نائب الشيخ، المشكوا فيهم:" الرجاء منكم في جاه ربي رجعوا لهاذي البنت السيدة (م) أحدايدها الصم، المسيبعات والسلسلة" الله يهديكم، الله يهديكم جميعا.

إن ظاهرة أخذ حاجيات العروس منتشرة، غير إقحام هذه القضية في القضاء، تكون نادرة أو مستثنية لأنها إذا لم تحل على مستوى الأسرة، فتحل عند الشيخ، وفي حالة الطلاق تأخذ الزوجة أغراضها كاملة من الزاوية . حتى أننا نجد في مجتمعنا، أن نساء حديثات الزواج تخبئن حليها وجواهرها عند أهلها الأقربين خصوصا الأم، لتفادي أي مشكل السرقة . غير أننا وجدنا حسب عينة، بحثنا إمرأة يتيمة لم تجد مكان أمن، فخبأته عند إحدى أقاربها وعندما طلبت حاجاتها، أنكرت الأخرى صحة ادعائها فلم تجد هذه السيدة سوى اللجوء إلى شيخ الزاوية .

هـــ- **العمل على إغواء الزوج :**

عندما تشعر المرأة بالخيانة الزوجية، فإنها تسعى لإنقاذ زواجها، وذلك بإلزام الأخرى بالابتعاد عن زوجها، فنجد في الرسالة رقم 17 :" الرجاء منك في جاه ربي، ابتعدي عن هذا الزوج السيدة (خ)، الله يهديك، الله يهديك، راكي تحوسي اتفطرقي خيمتها، ثم يكرر النصح والأمر للتنبيه :"الله يهديك تبعدي، راه بزوجته".

4- تغير في الأدوار والأحوال

لاحظنا ارتباط ظاهرة حمل رسالة الشيخ بالنساء لحل الخلافات الزوجية، بينما في الغالب الرجال يأخذ الرسالة بالكلمة ولا يحمل المخطوط وذلك لحل الخلافات الاقتصادية ومشاكل الإرث . ولكن ما يثير الغرابة في الأمر هو:

1- ارتباط رسالة الشيخ المخطوط "البرية" بالرجال مؤخرا أكثر من المرأة.

2- عرفت المرأة ظواهر اجتماعية، وأصبحت تلعب فيها دورا رئيسيا عكس الماضي، كمطالبة الرجل بالزواج...، ..والعدول عن الخطبة، فأصبحت المرأة تطالب الرجل الذي أغواها بالزواج أن يتركها وشأنها في رسالة رقم 44 .

قبل أجيال فقط، كانت المرأة تشكو للشيخ بطريقة سرية، وتترك للعناية الإلهية هي التي تسطر لها مصيرها .

في المقابل يهتم الرجل بالمشاكل الاقتصادية، أما فيما يخص المشاكل الأسرية فكانت مضبوطة لعدة عوامل أهمها عدم خروج المرأة، ولا لتعليمها . فالرجل عندما يريد المحافظة على بيته يتفاهم مع أولياء الزوجة لتفادي أي مشاكل يكفي أن تكون شكواها سرية في الزاوية لتخفف عن مأساتها، وحسب مقابلة التي أجريتها مع زوجة الشيخ الحالي، فان الطلاق في الغالب كان شبه منعدم، دائما يكون الصلح بين الطرفان المرأة دائما تصبر . أما اليوم أصبحت المرأة لا تبالي ولا تخشى الطلاق .

إلا أن ارتباط المرأة برسالة الشيخ البشير "المخطوطة" بدأ مع بداية التسعينات، وبما أنها في معظم الأحيان كانت لا تتحصل على حقوقها، شعورها بالظلم جعلها تبدع وتربط برسالة مجموعة من الممارسات الطقسية والشعائرية، التي لها وظيفة تعويضية لتنتقم من العدو الظالم، هكذا اعتبرتها نوع من التمرد على الرجل .

حاليا ومع تغير الاجتماعي، الذي تعرفه هذه المناطق الريفية، كوسائل الإعلام ، خروج المرأة، خصوصا الظواهر والهويات التي اكتسبها الشباب مثل الهواتف النقالة، ظاهرة اللباس ......الخ . ومن جهة أخرى حدث تعديل في قانون الأسرة، وبالتالي أصبحت المرأة على

دراية بهذا الأمر، والمتمثل حسب تصورها " *الطلاق اليوم راه صعيب،.. فيه تكاليف*"، وتصل ذروة اعتقادهن عند البعض "حتى تربح المرأة حقوقها يجب عليها قبل الطلاق أن تكون حامل، فتصبح لها استقلالية، إما بيت الزوجية مستقلة عن أهله، وتربطها مع زوجها علاقة تفاهم في أخذ القرار، وإما الطلاق فتتمتع ببيت خاص لها ولابنها الذي أنجبته أو سوف تنجبه"، في المقابل تصور الرجل "بكري كانت الكلمة لرجل، اليوم الحكم راه للنساء، بغاو يحكموا علينا النساء، ....، إذا كان عندها أبوها رجل ناسبه وإلا لا ...واليوم المرأة أعطوها حقوق المرأة، بغاو يغلبوها علينا لذلك كثر الطلاق "، ويبقى دائما فكرة عدم ثقة في مؤسسات الدولة في المدينة، وهنا فطن الرجال إلى هذه الحيلة فيحدث تفاهم للطلاق بالتراضي، وتأخذ مبلغ بخس في معظم الأحيان، وتعتقد أنها قد ربحت حقوقها، لعدم ثقتها في حكم الدولة .

وأنبه إلى أن ليس كل النساء ترضى بحكم الشيخ، هناك فئة قليلة جدا بدأت تتكون في هذا الفكر العشائري التي تبحث عن الحكم في المدينة، قد يحدث تغير على المدى الطويل، لكن الأغلبية الساحقة من النساء ترضى بحكم الشيخ وطاعة للوالدين .

فهناك صراع ما بين جيلين الكبار والصغار، والمتمثل في عدم قبول المرأة بالحياة التي عاشتها أمها وجدتها، لقول المبحوثة " أنا طلقت، شكون ألي قالي البسي جلابة، الخمار والعجار....(وتكرر السؤال عدة مرات، وبعد صمت طويل.....) تجيب طاعة أهل الزوج تؤدي إلى الطلاق، من حقي أنا أيضا أن أرتدي مثل المدنية "السافرة" لزوجي، وبعد كل هذا تعتبر المرأة هي الظالمة و لم تصبر، فالرجل من حقه أن يخطأ لأنه رجل، أما أنا،......فلا يحق لي حتى الكلام، المرأة ...تصبر".

ومن الظواهر الجديدة في المجتمع وحتى على الشيخ، لجوء المرأة في الزاوية لتطالب الرجل الذي أغواها بالزواج، حتى أهل بيته تطالبهم بعدم التدخل في علاقة، وهذه تكررت أكثر من مرة، حتى أصبحت الأم أيضا تطالب من عشيقة ابنها الابتعاد عن أسرتها .

خلاصة :

إن سلطة العشيرة لم تزل قائمة في بنية مجتمعنا، وهي تمارس دورها الفعال أفقيا وعموديا، ولن يتم إزاحة هذه المرجعيات التقليدية إلا عن طريق جملة متغيرات الموضوعية والذاتية العميقة التي تصيب المجتمع بكل مستوياته، لتنتج بنية مجتمع جديد تحترم فيه حقوق الإنسان والمواطنة . فرغم تحولات السطحية الظاهرة على مستوى الأسرة في الشكل والعلاقات، ولكن يبقى جوهر السلطة الأبوية لا يتغير . فتبقى الأسرة كنواة التنظيم الاجتماعي، فلا يزال التمييز فيها قائما على أسس الجنس، العمر والنسب، ومن جهة أخرى ارتباطها بالمجتمع وبمؤسساته الاجتماعية والاقتصادية الأخرى، فما زال الفكر العشائري يطغى على الدولة .

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية

1. ابن المرزوق التلمساني بن محمد بن الحسن،1981، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .
2. الجيلالى محمد، 2000، معسكر ومناقب أئمتها في القرن العشرين، نشر ابن خلدون، تلمسان، الجزائر
3. الطاهر لبيب، 2007، "الأسرة العربية : مقاربات نظرية"، ص 167-185 من الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، المجلد الثالث، البعد الاجتماعي، الطبعة الأولى .
4. الهويدي يحي، 1965، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية ج 1، مكتبة النهضة المصرية .
5. بن بكار بلهاشمي، 1961، كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب، مكتبة ابن خلدون، تلمسان، الجزائر .
6. بركات حليم، 2000، المجتمع العربي في القرن العشرين :بحث في تغيير الحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت .
7. بوعزيزي . م :2007، "البنية الاجتماعية"، ص.27-43 من الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة، المجلد الثالث، البعد الاجتماعي، الطبعة الأولى .
8. طوالبي نور الدين (ترجمة البعيني.و): 1988، الدين والطقوس والمتغيرات، ديوان مطبوعات الجامعية، الجزائر، منشورات بيروت، الطبعة الأولى .
9. شرابي هشام، 1993، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت .
10. زيدان يوسف محمد طه، 2000، الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر،دار الجيل بيروت،الطبعة الأولى .

مراجع باللغة الفرنسية

1-Berque Jacques (1955), *structures sociales du haut atlas*, presse universitaire de France.
2-Berque Jacques (1982), *ulémas fondateurs unsurges du Maghreb ,17ème si*, éd sindbad, paris.
3-Bonte Pierre, conte Edouard, Drech Paul (2001), *émirs et présidents*, cnrs édition.
4-Colonna. F (1975), *institutions algériens : 1883-1939*, presse de la fondation nationale des sciences politiques, paris.
5-Colonna, F (1981), *« la répétition des tolba dans une commune rurale de l'Aurès »* pp.187-203, in (S/D) Souriau Christian, le Maghreb musulman en 1979, éd centre national de la recherche scientifique.
6-Colonna.F (1987), *savants paysans,* office des publications universitaires, Alger.
8-Charnay Jean Paul (1977), *sociologie religieuse de l'islam*, éd sindbad, paris .
9-Dermenghem Emile (1954), *le culte des saints dans l'islam maghrébin*, éd Gallimard, paris.
10-Fekkar Yamina (1981), *« la femme, son corps et l'islam : questions et contradictions suxitées par la vécu quotidien en Algérie »*, in (S/D) : Souriau Christian
11-Gall Michel (1972), *le secret des mille et une nuit*, éd Robert Laffont.
12-Géronimo (1854), *le martyr du fort des vingt quatre heurs à Alger, Alger*, Bastide, librairie éditaire, paris.
13-Heltzfeld. H (1993), *les racines de la religion*, éd de seuil.
14-Hirschhorm.M (1988), *Max weber et la sociologie française*, éd l'harmattan.
15- Lacste-Dujardin Camille(1990) , *des mères contre les femmes,éd BOUCHENE , alger.*
16-Lucas.PH, Vatin .J.C (1975), *l'Algérie des anthropologues*, librairie François mas , paris .
17-Naamouni Khadîdja (1993), *le culte de Bouya Omar*, Ed EDDIF.
18-Panoff. M, Perrin .M (1973), *Dictionnaire de l'ethnologie*, éd petite bibliothèque.
19-Pascon. P (1986), *30 ans de sociologie en Maroc*, imprimerie najah el jadida, Casablanca.
20-Taveau.v (1999), *l'Algérie dévoilé*, plon.
21-Harris Walter (1929), *le Maroc disparu, librairie* plon, paris.

نموذج من رسائل شيخ البشير

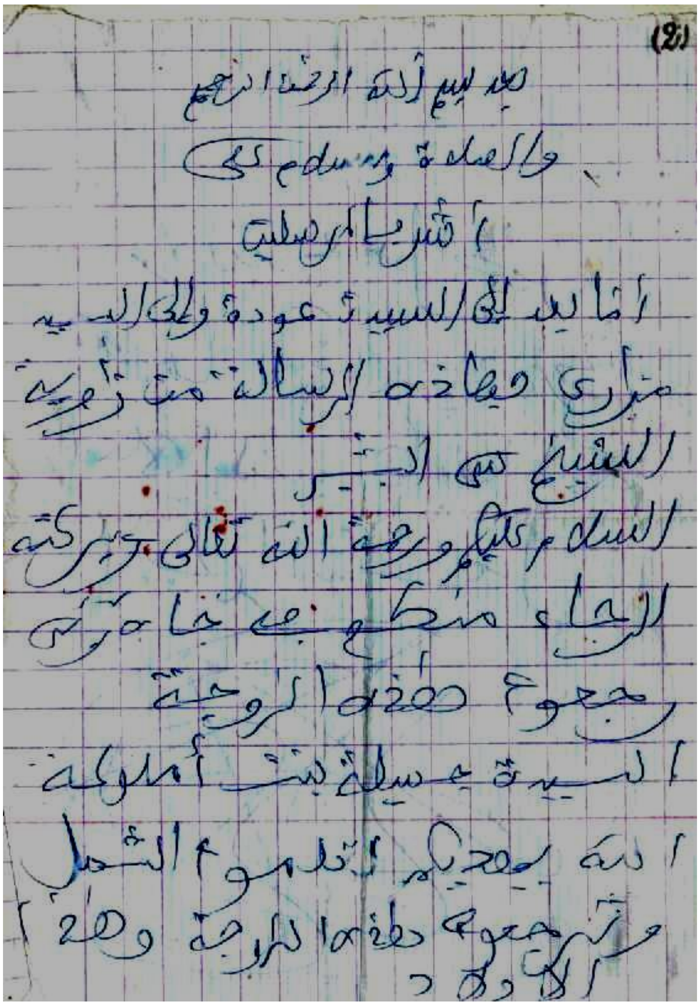
بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على
أشرف المرسلين
[illegible]
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته
[illegible]

ـ دور شيخ الزاوية في تنظيم الأسرة الجزائرية ـــــــ